أَحَلامٌ ..
عَلى قَائِمَةِ الإنْتِظَار

نبال قندس



نبال قندس

"أحَلامٌ ..عَلى قَائِمَةِ الإنْتِظَار "

(نصوص)

الطبعة الأولى (٢٠١٣)

صدرت عن



دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

٠٠٩٧٢٢٣٤٠٠٣٥

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz



إهداء..

إلى أمي التي أهدتني دعواتها في كُل خطوة،

و أبي الذي أورثني حب الأبجدية،

لكُل من وقف مَعي و ساعدني في إصدار هذا العَمل،

لِلأصدقاء و الصَديقات،

ياسَمينة ، قُبلة،

و دَعواتِ بحجم السَماء!

نبال قندس

و لأنني لَم أُحب يَوماً رتابة المُقدمات سأعفيكم في كتابي هذا من قراءة إحداها !

هَكذا هي حَياتُنا

حُلمٌ يتحقق .. وحُلمٌ يَتعثَّر ..

و تَبقى أحلامنا قيد الانتظار ..!

أحلام مستغانمي

١

رَسائل إلى مجهول

على شَفا نِسيان ..

نَسمَة رَقيقة عَبرت روحي حين ذكرتك ،

في خِضَم كُل الأَشياء

التي تتَكدس في ذاكرتي و قَلبي ،

تَبقى أنت الأهم و الأجمل و الأرقى

من كُل ما يَستحق الكِتابة !

مَرَّ زَمن مُنذ هَمستُ بِك في حِروفي ،

و كأن هذا الحُب الذي جَمعنا لِسنوات

لا يُمكن أن يَنتهي بِنقطة في نهايةِ قَصيدة عابرة !

و كأن الكَلمات التي ألقي بِها بَعيداً كُلما أمسكت بيِّد

النِسيان

تأبى أن ترحل عَني ..

فَتعود مِراراً لِتسُد ظمأ روحي !

أنت و الكِتابة ضَيفان لا يَجتمعان في قَلب إمرأة ،

مِزاجية ، نرجسية ،

تَعشق الكَلمات التي تَغتسل في أنهار عِطرك !

يَقولون : "مواليد الشهر الواحد متشابهون كثيراً"

و كُنا نحن المثال الذي يَّشُّذ عن هذه القاعدة

لم نَتشابه يا سيدي،

إلا في هذا الحُب الذي قَرع أبواب قلوبنا

برِقة حَبات المَطر

و قَطرات النَدى !



اليوم :

هل يَعنيك أن تَعلم أنني أستلم برقية حَضورك بِملل باذخ ،

أقلبها على الوَجهِ الآخر لأرسم

بِكُل دقة خارطة الفراق الذي أخشاه ،

أهرب من السَعادة التي أتمناها معك

لأنني لا أأمن الحب على قَلبي !

رد إليك رِسالتك مُغلفة بالغياب و الدُموع .

أكتم صراخ قَلبي المحموم بك !

و أمد عُنقي لِمقصلة الغياب،

هَذا الغِياب الذي نوقِّعُ على وَثائِقهِ بكامل إرادتنا

موجعٌ حد المَوت و أكثر!

حِكايةُ فراق ..

كَما كُلَّ فُراق

يُثيرُ غيابها حَنقك

يأكل الحُزن من أطراف ثَوبك

يِتعطلُ قِطارُ حياتكَ في مَحطاتِ إنتظارها

يُظلمُ هذا الكَون في عَينيكَ أكثر

هي ، كانت تُحبك

و قَريبة بِما يَكفي لِتكونَ في قَلبِك

لكِنها اليَوم أبعد من غَيمة

من نَجمة

من ذِكرى هربت بَعيداً

هي ، كانت قَريبة

على بُعد هَمسة

لَمسة

وإبتسامة

إنما اليوم ما عاد قَلبها يَكترث

حَزمت مَتاعها

و غادرت الكوكب الذي كان يُمسكُ بِزمام أحلامها

أوصدت خَلفها الباب الذي

كان يأتيها بريح الحُب ، لِتستريح !



أنتَ تشتاقها

لكن كِبريائَك الشرقي الطراز يُكابر

تُحاولُ قَتلها بأكوابِ القَهوة و علب السَجائر

تَنفثها مع دُخانك

فَتبرُز لَك ذكراها مع رَشات عِطرها

الذي كان يَختلط بأنفاسك

أنت مُتعب ، كَليالِ الشِتاء

يَقهركَ إهمالها و اهتمامك

تَجاهلها و إنكسارك

سَعادتها و احتضارك

يأخذك الحَنين إليها

تَنهمر من قَلبكَ الحمم كَبركان إنفجر للتو

إنما يُعزي نَفسه بأنه لا يزال شامخاً !

على عَتباتِ بابها تُغطي جراحك بِذات اليَد

التي صَفعت الحب الذي جَمعكما

تَصرخُ .. و تُزمجر

تتَوعدها بالنسيان

" سأنساكِ إن إستمر بُعدك .. أقسم سأفعل "

لَكنها أجزمت حين غادرتكَ أنها لَن تَعود

لا يُرعب النِسيانُ يا سَيدي امرأة اختارته طَوعاً !

على شَفا جُرحٍ مَفتوح ..

مساء الخذلان سيدي..

مساء سقوط الأقنعة..

مساء انهيار الوجوه ..

وظهور الوحوش التي كانت تستتر نفسها خلفها..



سيدي.. في كل ليلة كنت أسهر لك فيها،

و أظن أنك على الطرف المقابل

من المدينة ، تسهر ليلي..

كنت ساذجةً جداً!

♣ ♣ ♣ ♣

في كل مرة كنت أجلس فيها للصلاة

أرفع يديي للسماء مع كل ركعة

وأهمس في كل سجودٍ في أذن الأرض باسمك

كنت أظن أنك في ليلة مشابهةٍ تفعل ذلك لأجلي!

كنت بريئةً جداً..

❧ ❧ ❧ ❧

في كل مرة أسمع تلك الأغنية الأثيرة ،

وأظن أنك ذات صدفة قد تسمعها ،

واثقةً جداً أنها ستُذكركُ بي..

كُنت عاطفيةً جداً!..



في كُل جلسةٍ يُذكر فيها الحُب ،

والشوق للحبيب ،

والإخلاص والثقة..

ترتسم ملامحك في فنجان قهوتي ،

تبتسم لي بُحبٍ و خجل..

كُنت واهمةً جداً

♣ ♣ ♣ ♣

في كل مرةٍ يهاجمني المرض فيها ،

وأقضي الأيام في السرير ،

مُتمنيةً أن تكون إلى جانبي ،

هاذيةً باسمكَ بين كُل دقةٍ ودقة!

مُؤمنةً أنني سأكون ملاكك الحارس ،

حين تَمرض ،

وجليستك الأولى والأخيرة..

كُنت بعيدةً عن الواقع جداً!..



في كُل مرة ،

أرى فتاةً تبكي حبيباً هجرها ،

وكسراً لها قَلباً..

وحطم لَها ذِكرى..

أهمس في قلبي ،

أن لا شيء مِثلك.

ولا حُب كَحبك ،

ولا إخلاص كإخلاصك ،

ولا شيء يَعدل ثقتي ،

بقلبك الذي لا يَجرح ،

و روحك التي لا تَهطل إلا بالخير ،

كُنت غبيةً جداً!



في كُل مرة ،

كُنت أرى فيها عروسين ،

يرقصان فرحاً بلقاءٍ كَتبه الله لَهما ،

مُتخيلةً فرحتك بي في فستاني الأبيض ،

و عظيم شُكرك لله الذي جعلني نصيبك ،

كُنت امرأةً حالمةً جداً!



في كُل مرة أستعيد ذكرياتنا ،

واحدةً تلو الأُخرى ،

حُباً تلو الآخر ،

وابتسامةً تلو الأخرى ،

لأَصطدم بحاجز خذلانك ،

و بجدار وهمي بِك ،

وأذكر أنني كُنت أعيش هذا الحُب وحدي ،

اشتاقك وحدي ،

أذكرك وحدي ،

أكتبك وحدي ،

وأبكيك حتى الآن وحدي!

تصغر الدنيا في عين قلبي ،

حتى تصبح بحجم خُرم إبرة !

مَقهى و حديثٌ لم يكتمل !

أَيُها النادل :

سأَرحلُ الآن

و سيأتي بَعدي رَجلٌ أنيق

يَرتَدي بدلةً سَوداء و ساعة فَضية

سيجلِس على الطاولةِ بمحاذاةِ النافذة

يَصمتُ قليلاً .. ثُمَّ يجول بِعينيهِ بحثاً عن سيدةٍ

أنيقة ، تَرتدي مِعطفاً خمرياً !

سَوف يَطلبُ كوباً من القَهوة

حَضرها لَه جيداً و لا تُكثر من مُكعبات السُكر !

أظن أنَّه سينتظرُ طويلاً

ينظُرُ في ساعتهِ تارةً و يكتب الملاحظات في

مُفكرتهِ تارةً أُخرى !

و إذا ما لاحظتَ أنه بدأَ يسأَم من فَرط الانتِظار

قُل له : أَن السيدة التي يَنتظرها لن تأتِ

و أنَ سيداً نبيلاً قدَّم لها الزهور و أخذها بعيداً

قل له : أنها تُفضل أن تقرأ كتاباً بدلاً من مجالسةِ

هذا الأحمق لذلكَ ستهربُ بعيداً

"كما هربت منك ذات مساء"

قل له :

لقد تركت لكَ قلبها تحت الوسادة

و زجاجةَ عطر بين رفوف ذاكرتك لتذكرها كثيراً !

لا و ألفُ نَعم ..

أَذكر بوضوحٍ ،

ذلك اليوم الذي جئت فيه تقرع باب القلب

فقلتُ "لا" في ذاتِ الوقت الذي كانت فيه

كُل الأَشياء المكدسة في عليَّةِ القلب تصرخ "نعم"..

انطلقت "لا" من شفتي كقنبلة تُبعدكُ عن طريقي

لكنها لم تردعك

فاليوم عُدت تطرق الباب ذاته ثانيةً

تشرع راية الحب من جديد

تقذف بأحزاني إلى أبعد طريق

عُدت مُحمَّلاً بكل الحب و الود

ونثرت السعادة من جديد

في حدائقي الجدباء المقفرة

عُدت وعاد ربيعك

والبهجة تسكنني

وما أشد شبهي بالأطفال أوقات بهجتي

أرقص .. أُغني ..أطرب ..أدندن

لا تستطيع السماء احتضان فرحي

فتمطره على أراضي الحزن لتُنبِّتَ فيها

أزهار الفرح ..فراشات نورٍ تُحلق في الأرجاء

بمرح الأطفال

ثم تستقر على جناح الغيمات

ناقشةً أبجدية الحُب الأُسطوري



أخبرو الفراق أنني حزمت أمتعة الحُزن

ألقيت بِها في عرض شلال الغياب

أَخذها الوقتُ بعيداً..

فليضرب الغياب بحسده وقهره عرض الحائط

فالفرح لا يحتمل التأجيل..

والوقت لا يحتمل الكآبة..

وأنا اليوم لحبيبي..

وحبيبي لي..

والبهجة لي..

والفرح لي..

حتى الطيور تُغني لي..

والفراشات ترقص لأجلي..

فافرحي يا سماء وانزعي يا أرض غطاء الحُزن المُخملي

عن وجهك الجميل..

فاليوم عدنا ...اليوم عُدنا

ظُلم الحبيب

حين يَكون قَلبُك سماءي الواسِعة
و كَتِفكَ غيمة أسند رأسي إليها
سيكون ظُلماً أنْ تغيب !

حينَ أنام و أستيقظ
على أمل لقاءك
سَيكونُ ظلماً أن تغيب !

حين أقف ثلاث ساعاتٍ
أمامَ المرآة أتجمَّلُ لأجلك
سَيكون ظُلماً أن تغيب !

حينَ أنتظرك تَحت المطرِ
ساعاتٍ و ساعات

سيكونُ ظُلماً أن تغيب !

حينَ أُقبِّلُ كُل أطفال الحي
وأقدم لهم الحلوى مزهوة
لأنك نطقتَ "أحبكِ"
سيكون ظلماً أن تغيب !

حينَ يكون أقصى المُنى
أن أرتدي لَكَ الثوب الأبيض
سيكون ظُلماً أن تغيب !

لا أُريدُ أن أموت حُزناً ..

تاهت مراكبي

ما عُدت أشعر بي ..بأَنفاسي

قلبي يرتجف برداً قبل أن تفعل ضلوعي

ضجيج وصخب يُحيطان بي

يُعلقانني في دوامة من الأسئلة التي لا تنتهي

يُغلقان أمامي كُل الأبواب

أُريد القليل من الهدوء والدفء

لا أحتاج تذكرةً تؤهلني للبكاء على كتف غيمة

و لا موكباً يأخذني لأراضي الفرح

أحتاج قلباً دافئاً يضمني بقوة

يهمس في ذاكرتي المرة تلو الأخرى

أن كل شيء سيكون بخير

اكتفيت من الخيبات

أنا التي مرَّغتُ في سرمدية الحُزن ..قلبي

واعتنقت مذاهب الوجع حتى البكاء

أنا التي ما اعترضت لك يا الله يوماً على قضاءٍ

أُريد فقط صبراً ودفئاً يا الله .. صبراً ودفئاً

فأنا لا أُريد أن أموتَ حُزناً ..لا أُريد

في الحيِّ

في الحيِّ رجلٌ ساذج
يظن أن كُل أنثى تفتح شرفتها
و تبتسمُ للصباح و تغريد العصافير تبتسم له !

في الحيَّ رجلٌ مُسنّ
يغطي رأسه كل صَباح بأغطية السري
ر يَنتظر زوجته الحنون ،
و حين تتأخر يبدأ الصراخ و البكاء
" لم تمُت بعد .. ستأتي"

في الحيَّ رجلٌ آخر
يشرب فنجان قَهوة
أعدته زوجته البدينة ،
و ينظر من أسفل نظاراته بشغفٍ

إلى شرفة جارته الشَقراء !

في الحيِّ طفلٌ صغير
يَقطف لصديقته كُل صباحٍ
وردة !

في الحيِّ رجلٌ وحيد
يخرُج لعملهِ صباحاً ،
يعود آخر النهار إلى المنزل الفارغ ،
من فتحة الباب المُقابل
تُراقبه ابنة الجيران،
يتمتم في سرِّه "لا أحد ينتظرني"

في الحيّ رجل
يستيقظ قبل طلوع الفجر
يرتدي حذائه الممزق و يغادر
كيّ لا يرى وجوه أطفالهِ الجياع !

في الحيّ شابة جميلة

تنتظر صديقها كل صباح

عند الشجرة الكبيرة ،

تسرق من جيب معطفه الورد و الحلوى!

في هذا الحيِّ ... كل الأشياء

تشتكي الوحدة و الضجر ،

كُل الأشياء مُتعبة لأن لا أحد يُقدِّر قيمتها

في هذا الحيَّ

لا أحد يجيدُ الاستمتاع بما يملك !

إلى سَيِّد الصَمت .!

تُكابر على نفسك وقلبك

تتهمني بالفهم الخاطئ للأمور

تسترسل في إلحاق الأوجاع بقلبي

وجعاً تلو الآخر

خيبةً تلو الأخرى ..

خذلاناً يتلوه ما هو أقسى منه

في سلسلةٍ لا تتوقف

إلا بنزفٍ .. ودهشة ..وانكسار

تزرع مع كل وردة في طريقي

ألف شوكةٍ تنخر ذاكرتي بِعمق

تدّعي البراءة الساذجة حد البذخ ..

حد إصابتي بالجنون

تسرق قلبي بكلمة ..

وتتركني معلَّقةً على مشنقة الصمت

الصمت ..

الذي لا ينتهي إلا بخنجرٍ مسمومٍ مزروع في رحم قلبي

تتنقل بين نساءِكَ بقناع حملٍ وديع

تسرقُ قلباً ..حُباً ..تورثُ ذكرى وتمضي

تترك بصماتك على ليالي الشجن والحنين

تسرق من الليل نجومه ..

ترصفها على طرقات الذاكرة

تنقش بحروفٍ من نور .

تاريخ لحظةٍ حافلة بالكبرياء والجنون

لحظةٍ تساوي في سعادتها عمراً ..

حُلماً

نقشاً فرعونياً ..

إسطورةً إغريقية ..

جنةً أَبدية



أي طرق النسيان أَسلك ..إن كانت كل الطرق

ملتويةً لا تأخذني منك إلا ..

لـ تُعيدني إليك

أي الأشياء تملئ فراغاً بحجم غيابك

الذي ترك فراغاً صغيراً بحجم كوكب

باتساع مجَّرة .

بامتداد كونٍ يبدأ منك ..

و ينتهي إليك

أي نرجسيةٍ تضم تحت اسمها رجلاً

مُتقلباً ..

تقلُّب الفصول ..حد الذهول

أي ضميرٍ نائمٍ

يحمل على عاتقهِ بُكاء آلالاف النساء



بربك يا سيد الصمت والغياب ..

إترك خلفك ولو لمرةٍ واحدة

كُرهاً ..حقداً ..يغُلفك في القلب ويحتويك

بربكَ يا سيد الخيبات المتراكمة في القلب

على رصيف الانتظار والانكسار

عد يوماً ..

و انتزع مني كل هذا الحزن الذي خلفتهَ بعدك

عد يوماً ..

واحمل معك صناديق ذكرياتٍ لا تنتهي

واسترد من شرفاتِ ليلي

سهر ليالٍ لا تُحصى ولا تُعد

عد يوماً ..

و اهمس في أُذن حنينٍ لا يغفو إلا بين يديك

عد يوماً

و أثبت للقلب أنه ما عاد يحتاج إليك

ولا ينام كالحلم في مقلتيك

أنه سأم الظمأ إليك ..والخوف عليك



لكن و بعد تَفكير طويل ..

أقول لَك سيدي

لا تعد

فما عاد المكان هو المكان

ولا الزمان هو الزمان

وكل أبواب هذا الحُب أُغلقها بعدك الرحمن

هاتفٌ متأخر

الوقت : ما بَعد منتصف الليل

يرِّن هاتفها النقال

على الجهةِ المقابلة صَوته هادئ و مُتعب

يعتذر على اتصالِه المُتأَخر

يبدأَ ثرثرةً لا مَعنى لَها

يَشتكي من القهوة الإنجليزية

من زحمة الشَوارع

وجوه البَشر المُتجهِّمة

من صابونه الجديد السيء

يَصمت قليلاً

ثم

"أشتاقُكِ"

ذِكرى ..

الذكرى الـ..... لا أذكر الرقم بالتحديد

لا يزال الصمت جليس السوء

المُرافق لحكايتنا المُرهقة

وحبنا المتهالك على مشارفِ الموتْ

و طقوس رحيلنا الأخير

شوقنا أو شوقي وحدي ،

منذ صار الشوق مهنتي وجواز سفري

فقاعات الحنين التي تتفجر في

عروقي التي تغلي على الدرجة

الثامنةِ بعد المئة ..وجلاً

صندوق الذكرى مفتوحٌ عن آخرِه

أرصفه قلبي مبللة بقطراتِ المطر ..

والفقد

سياراتٌ تسابقُ الزمن المشغول عنا

و أطفالٌ بعمرِ الورد يتراقصون

تحت زخات المطر

كل الأشياء في شوارع الذكرى مألوفةٌ و معتادة

إلّا طيفنا

وهذا الشِتاءُ الذي يفتقدنا

و ذرات المطر الساخطة علينا

كل الأشياء متوافرة ..إلا نحن

نجمنا أفل ..

رحل ..أو انطفئ نورهُ

يوم قررنا بسذاجةِ مُراهِقَين

تلويث التفاصيل الأنيقةِ بالصمت

ثم المُضيّ قُدماً

في اتجاهين مختلفين كل الاختلاف

تدور بنا الأيام

و تتخبط بنا مسالك الحياة

و ينهش البُعد قلوبنا

و ينخر النمل بنشاطٍ في ذاكرتنا ...المُعَّتقة

ننسى ..أو نتناسى

نجهل .. أو نتجاهل

أنيننا المُنبعث من أقصى براكين الحزن

نغلق الدفتر على الحكاية قبل السطرِ الأخير

نضغط بقوة

نخنق الصوت المُنبعث

نُقفل الصندوق .. و نمضي

الرَجلُ الأنيق ..

فيما مَضى كُنت أَغبط أمهات وأخوات الشبان

اللطفاء المُثقفين ،الطيبين

لأنهن الوحيدات اللاتي يَمتلكنَ حق مصادقتهم

والنهل من بحر حنانهم ،

وعطفهم

لكن..

وبعد أن عَرفتُك

بِتُّ أَحسدها هي -لا غَيرها-

تِلك التي لَم أعرفها قط

مَن تَمتلك زِمام قَلبك

وحدها من بَين النِساء اللاتي قَطعّن أيديهن

وقلوبهن شَغفا وهياماً بِك

يتدافَعنَ على حدود قلبِك

بانتظار تأشيرةِ عِشقٍ

أو تَذكِرة دُخول

تِلكَ الأنثى التي تَجري مَجرى الدم في وريدك

ويَحق لَها مهاتَفك

والحديث إليكَ لِساعات

سَماع هَمسكَ وصَمتك

والنظر في عينيك دون وَجل

وحدها مَن تَسير في أزِقَة قَلبك

بِكل ثِقة

وترافقك إلى محافِلك بكل فَخر

وتَنظر لجِواريك بإزدراء وشماتة

هي-لا غَيرها-

من دون النَساء

من تَسند هَفواتك وعَثراتك

وتَمتص هُمومك وآلامكَ

وتُصَفقُ لِكُل انتصاراتك

تِلك التي تُكَمِلك وتُجملك

وتَنثُر عِطرها بين سطورك و أحرفك

كم أحسدها فهنيئاً لَها بِك

هَنيئاً لَها بِك !

عَينان بِلون الشوكلاه !

هَذا اليَوم

الذي يُمكنني أن أطلق عَليه

"اليوم الذي لم أستيقظ فيه على رِسالةٍ منك"

لا يَبدو يوماً جيداً على الإطلاق

في الحقيقة : أرفضُ أَنْ أُسميه "يوماً سيئاً"

حتى لا أجلِبَ لِنفسي المزيدَ مِنَ الشُؤم

فَقد تَكونُ مُصادَفةً

أَنني أُصبتُ بحساسيةٍ في العيون

وقد نسيتُ نظارتي الشمسيةَ في المنزل

قد تَكون مصادفةً أَيضاً

أَن أضطر للذَهابِ في مشوارٍ طَويل

دون كتابيَّ الذي نَسيته على رَفِّ المكتبة

والذي كانَ من المُمكن أن يَكون

رفيقاً جيداً خلال هذا اليَوم

هاااا .. أرأيت ..ليسَ هذا يوماً سيئاً

إِنما يوم المصادفات الغير متوقعة

كتِلكَ التي مررتُ فيها أمام مَنزلك ..

و لم تَكُنْ مَوجوداً

و كانت أزهارُ أمكَ تشتكي غِيابك

إلى أن جاملتُها أنا

ببضعِ كلماتٍ من تلكَ التي أقولها لِنفسي

في الليالي الطويلة

التي أفتقدك فيها و أبكي

برفقة أكواب القهوة التي تتناثر حولي!

أتعلم ..

أحياناً أتمنى لو يَظهر في عالمِ الطب

من يرفعُ شعاراً مثل :

"لا للغياب"

"الغياب مُضرٌّ بالصحةِ الجسديةِ والنفسية"

لا عَليك مُجرد فكرةٍ مجنونة تخطر ببالي ليس إلّا

لا تقلق جنوني الذي تعرفه لم يدفعني بعد

للترويج لمثل هذه الحملة



نسيتُ أن أخبرك أمراً مُهماً

الطقس اليوم يبدو جيداً على غيرِ عادتهِ

السماءُ زرقاء تتخللها غيومٌ إسفنجية

كحبات المارشميلو

و نسيمٌ عليل يتسلل من النافذةِ

ليداعبَ الدمعات التي تتسرب من عينيَّ

على أي حال قد لا يُهمكَ كل ما ذكرتهُ أعلاه

لكن هُناكَ أَسئِلةُ تراودني

هل ما زالت عيناك بلون الشوكلاتة ؟

تلكَ التي قُلت لَك يوماً أنني أُحبها أكثر مِنك

بالمناسبة :

أما زلتَ غاضباً من ذاك المَوقف ؟

في الحقيقة لا أستطيع أن أذكر

إن كُنت يومها أُداعبك أم أقول الحقيقة !

لا عليك فأنا أُحبك

أخيراً إن كُنتَ مُهتماً

لا تقلق عليّ .. فأنا بخير

ابتسمُ كثيراً هذه الأيام

يقولون ابتسامتي جميلة

و استعادت حيويتها

لكن

لا تُصدقهم

كانت لتكون أجمل لو كنتَ هُنا !

لِقاء (١)

قمر هذا المساء

يذكرني بعينيك

ويرسم خطوات نبضك على جسدي

يملأني شوقاً وشغفاً

وأشياء كثيرة

لم أعلم أنها متوافرة لك في الحيز الكبير داخلي

سيمر زَمن قبل أن يأتي موعد اللقاء التالي

ولكن صوت الحنين إليك

يصرخ وينادي الضحكة الخجولة

في ابتسامتك اللطيفة



أشتاقك

فهنيئاً لك ،

اليوم اكتسحت عالمي بأسره

وسرقتي من الجميع ،

بصورتك الرقيقة المرتسمة بمخيلتي،

وصوتك الهادئ العالق بأذني

منذ الأمس،

تلك النغمة الحنون التي التصقت في ثنايا

القلب والذاكرة،

لكأنك المطر الذي زارني على استحياء

وغسل قلبي من تراكم الحزن والأنين،

وملأ بربيعه الأرجاء،

لكأنك الزائر الغريب الذي جاء القبيلة ،

وأبى إلا أن يسكن القلب

آآه يا سيد القلب

كم اشتهى الارتماء على شواطئ قَلبك،

والقاء رأسي المتعب من دوامة

الأفكار التي تصول بي وتجول

إلى كتفك الدافئ !



حديثك على قدر جماله أتعبني

فماذا فعلت بي

وماذا دسَستَ لي بين كلماتك المنمقة

لتتعبني حتى النخاع !

على المَقعد المجاورِ .. أنت !

خَلعتُ قُشور حُبك

عَنْ مسماتِ جَسدٍ استَزفَ كُل طاقتِه

في انتِظارِك والحَنين إِليكْ

هَطلَ المَطر إِذاً ..

وزاد اشتِعال الذِكرى بي

ولا شَيء في بُعدك تَغير

أَشواقنا المُخبأَة في حَقائِب الغِياب كَما هِي

أَنتْ..لا تَزالُ كما أَنتْ..

بِ برودك المُصطنع بدقةٍ وثِقة

وتِلك النَظرة التي تَفعَلُ في نَفسي الأَثر الكَبير



جَلستَ على المَقعَدِ المُجاور

لكأَنها الأَقدار شاءتْ جَمعنا ذاك النَهار

لِ تُثبِّتَ لَنا أنْ اللعُبة مُستَمرة

وأَنْ أَجراس النِسيان لَم تُقرعِ بَعد

مَلامحك الشاحبة لا تُخفى احمرار وَجهك

الرَجفة التي كانت تَزحف في عُروقك

توترك الذي كانت يَرتسم لَوحةً في عَينيك

لا تَزال عُيوننا واجهتنا للحياة ..

تَفضَّحُ كُل مُحاولاتنا الكاذبة/البائِسة

لادِّعاء النسيان ./وتصَّنع اللامبالاة ..وعدم الاكتِراثْ

أُأَكدُ لَكَ..لَن تَنساني بِتلكَ السُهولة التي تتَخيلْ

أَقولها لَكْ بِكامِل ثِقتي بِقلبكَ

الذي لا زالَ يَنبِضُ بي

عُيونك التي ما استطاعتْ يَوماً الكَذبَ في حَضرَتي

بِكل العُهود المُقدسة التي جَمعت قَلبينا

آآهٍ ما أَشَّد فاجِعة الحُب بِنا

♣ ♣ ♣ ♣

تلاشي الجَميع ..و تَوقفَّ الزمان

لِـ تكون لَنا فُرصة للمُعاتَبةِ الصامِتة

صَمتُنا المُتعدد اللَكنات جَعل التَفاهمَ بيننا صَعباً جِداً

لا أَنتْ تَفهمُ صَمتي

ولا أَستَطيعُ أَنا تَرجمة هَمسك الساكنْ

مُتعَبةٌ أَنا من كُل ما يَحصل حَولي

أَحتاجك..مِعطفاً لِقلبي ..مُتكئاً لِرأَسي

المُمتلئ بِكْ

وَددت تِلكَ اللَحظة لو ارتَميت في مَركبِ عَينيك

وهَربتُ بَعيداً ..

عَن صَخب شَواطئ الغِياب المستَّعر

لَكن ..

كَبريائي..وغرور الأُنثى بي شَدَّا وِثاقي بِقوة

لِمنع انِهيار قَلعتي الرَملية على عَتبات مَوجِك

ارتطمت بالواقع ..

وعُدت لِرُشدي في اللَحظة

المُناسِبة .. !

صَمت .. و ابتسامة مَكسورة !

لقاء ..وأَشياءٌ أُخرى

مُكدسة في جُيوبِ قَلبي

جَلستُ على المَقعَدِ المُقابِلِ لِصَمتِ عَينيك

أُشارِكُكَ لَحظةَ لا تَتكرر في عُمرٍ واحِدِ

المسافَة بَيننا بَعيدة ../ رُغم قُربِها

قُلوبنا تُراقب هُدوئنا بِوجل ..

وصَمت آخر ..يَفوق صَمتتا

أَغوصُ في عَينيكَ بَحثاً عَن حَقيقة

تَخفيها وراءَ قَلبِكَ

تُشيحُ بِوجهكَ ..

هارِباً من الأَسئلة الصَغيرةِ التي يَنطِقُ بِها صَمتي

أَسئِلتي الصَغيرة

التي لا تَكف عَن تَعذيبك..

كَونها تَحتاج الكثَير

مِن الإجاباتِ الكَبيرة ..

أَكبر مِن كبريئنا ..

مِن مَجرةٍ نَحتويها ولا تَحتوينا

تتكسر ابتسامَتي الباهِتة على أَبواب جُمودك القاتِل

تُحارب الكَلمات ..

و تُحاولُ النَجاة

من طوفان الصَمت الذي اقتَحم خَلوتنا

فَتخرجُ كَلِمةٌ أولى وأَخيرة في آن

"وَداعاً"

أَحزم كبريائي المَجروح ..

وفتات أنيني وحَنيني ..

وأمضي !

ثَرثرة مَسائية

لَست مُضطرة لِـ قولِ الكَثير

بَعض الأوجاع المُتكدسة بداخلي لا تُقال

كُل ما أستطيع قَوله

هو أنني لا زِلتُ على قَيد الأمل ../ الألم

لماذا يَقتحم الألم كُل محاولاتي الهاربة للنجاة ..

حِقد دفين.! /ثأَر

أم مُجرد تَسيلة ..

في أوقات المَلل المُمتدة طوال ساعات أستيقاظي

...أَشتهي وسادة ../ نوم عميق ../ وراحة لا مَثيل لها

لا تُحاول سَرقتي من أحلامي

أريد البقاء هنا ../ هُناكَ

أي مَكان هادئ

يَفصلني مسافات عن الشوق ../ الشوك

الذي يَزرعه غيابك بين جفوني ../ وقلبي

لماذا أقول لَك كُل هذا الكلام ..

لماذا أكتب.. / أهذي.. / أَبكي.

أَصمت ../ أنسى ..أتناسى

أبقى ../ أرحل ..أحلم

أستيقظ من كابوس غِياب ..بركان يغلي في ذاكرتي

لا يَهدأ../ قبيلة أنين تَدقُ طبولها في رأسي

هيا ..هيا ..

كبش فداء ..قُربان ..للبُركان ..

حتى يَزولُ السَخط

ماذا لَو لَم يَتوقف ..ماذا لو كانت خُدعة

إلي أين يأخذني الكلام ..

إذا كانت كُل الطرق إلى القصيدة

"وعرة " ..جبلية ./ خَطِرة

هَذا الكابوس يَجب أن ينتهي .

قَرع الطبول ..يَتوقف.

يتوقف

يتوقف

يتوقف

ي

ت

و

ق

ف

وعند النَقطَة الأخيرة يَموت النَهار ..ويُسدل السِتار

واحد ..اثنان ..ثلاثة

الثانية عشر بَعد مُنتَصفِ الغياب..تَدق

صَمت..

هُدوء ..

وكوب قَهوة بارد لا يَصلح للشرب !

بِفضلكَ أنت !

بفضلكَ أَنت

أدمنتُ النوم لَعلي

أقتل الوقت الذي أحكم قبضته

على أنفاسي في غيابك

تَمنيت أن أحيّا غيبوبة

لا تنتهي .

أو حُلماً أبدياً ينتهي بي إليك

♣ ♣ ♣ ♣

بفضلك أنت

وقفت كشجرةٍ وحيدة

في وسط عاصفةٍ هوجاء

تكادُ تقتلعني من أرضِ انتظارك

أقاومها بِضراوة

و أحاول جاهدةً أن أُثبِّت نفسي

في ذلك المكان المُغبَّر الذي جمعني بك

♣ ♣ ♣ ♣

بفضلك أنت

ذبلت أزهاري

و اصفرَّت أوراقي

و طال خريف عمري في انتظار ربيعك

و انقضت كل الفصول دون خبرٍ منك



بفضلك أنت

تعلمت كيف أتحرر من عبودية الوقت

تعلمت كيف أكون سيدة الزمن

و كيف أحيّا حياتي كما أريدُ أنا

لا كما تُريدُ أنت



بفضلك أنت

تعلمت أن أصبر و أثابر

و أتحدى غيابك الذي عودّني على غياب كل ما أحببت



بفضلك أنت

أتقنتُ فصول الحُب فَصلاً فصلاً

و بِكُل أسف

عجزت عن فهم فصلهِ الأخير

المُتعلقِ بمشنقةِ النسيان !



بفضلِك أنت

بِتُّ أكره كل الأسماء

التي تأتي على صيغة " أفعل "

لأنني أفعل فيما أنت لا تفعل

و لن تفعل

سوى أن تُذكرني باسمك

و ببؤسي معك !

♣ ♣ ♣ ♣

و في النهاية بفضلك أنت

فوتُّ قطارك

نسيتُ محطتك

نسيتُ أن أنتظرك

نسيتُ أن أحبك

و نسيتُ أن أشتاقك

ثم نسيتُ أن أكتبك

أضعتُ أمرأةً تُشبهني كانت تحيا لأجلك

و أَضعتُ رجلاً يُشبهك في التحاف الغياب

فَعد سيدي خُذ غيابك

ما عاد يعنيني الغياب !

رسالة ما قبل الرحيل

إليك سيدي رسالتي الاخيرة

يعلم الله كم أحببتك

ويعلم الله كم إشتقتك

ويعلم الله كم أنفقت من عمري انتظرك

يشهد الله أنني بكيتك كما لم أبكِ أحد من قبل

ودعيت الله لك كما لم أدعوه لأحدٍ من قبلك

حلمت بك ليالٍ عديدة

وهذيت بك مرات عديدة

وكتبت لك دون أن تقرأني مرات عديدة

وناديت باسمك إلى ان بُحَ صوتي

لكنك ما أحببتني يوماً

وما أحسست بي يوماً

وما شعرت بي يوماً

وما فكرت بي يوماً

وما انتظرتني يوماً

وما خطرت لك في بالٍ يوماً

وكأنك أغلقت كل أبواب قلبك دونك ودوني

أغلقت قلبك عن جنوني بك

وهيامي بك

وولعي بك

أغلقت كل الأبواب التي كانت لتجمعني بك

تجاهلت كل ما بداخلي وأتهمتني بالجنون

نعم مجنونة أنا لوقوعي في شباك حبك

مسجونة في قصر أوهامك

مخذولة أنا بك

مخذولة بصمتك

مخذولة بهدوئك

مخذولة بصممك

مخذولة ببرودك

مخذولة بكل ما هو متعلق بك

رسمتك يوماً في قلبي في أبهى حُلة

وأسكنتك عرشاً لم يسكنه أحد قبلك

فدست قلبي

وشوهت جدران حبي بعبثك

وحطمت مشاعري

والقيت كل ما هو باقٍ لي من نفسي في ضريح الفراق

لست أعاتبك بكلامي

ولا أطلب استرحامك بي

ولا أستجدي شفقة منك

ولا ولن انتظر على عتبات بابك لتلقي علي بفتات حبك

مشفقة أنا على حالك

مشفقة عليك عندما ستمد يدكَ لتلتقط ذاك الكتاب

الذي أحببتك به

وانتظرتك به

وتألمت بسببك به

وغضبت عليك به

وصرخت في وجهك به

وجمَّلتك به

وشوهتك به

وكرهتك به

مشفقة أنا عليك لحجم خسارتك

ستمسك كتابي ذاك

وستصافح فصول حبي لك

ومراحل جنوني بك

وستصدم لحجم الحب الذي أكننته لك

وقدمته لك دون علمك على أطباق من الياسمين

فركلته بغباءك أرضاً

وفقدت أنثى لن تجد لها مثيلاً

لن تجد مثلي من تهتم بك

وتسهر لك

وتكتب لك

وتجن بك

إحتفظ بكتابي ليذكرك بخيباتك

وخساراتك التي كان آخرها أنا

وأقرأه على نفسك كتعويذة في أوقات حزنك

لتجد لنفسك مبرراً للبكاء والنحيب والجنون

ستخرج من منزلك صَرِعاً

تبحث عني في شوارع

ملأتها بضحكاتي ودموعي وحزني وفرحي

وستجد كل ما يذكرك بي إلا أنا

لن تجدني

فقد أقلعت من عالمك ولن تستطيع اللحاق برحلتي أبداً

ستصرخ باسمي ...ستناديني

سترتسم لك صورتي في وجه كل أنثى تلتقيها

عندها حقا ستبكيني

ستركع على قدميك راجياً الله ان يعيدني إليك

ولكن ما من سبيل

فأنت من رفضت نعمة منَّ الله بها عليك

وسيحرمك الله منها للابد

ستعود لمنزلك مخذولاً

مهموماً

مقهوراً

مجروحاً

ستنزوي في غرفتك

وتوصد الأبواب خلفك

هارباً من ذكراي

التي ستبقى تلاحقك

ستحاول أن تدخل غياهب النسيان

وستلاحقك ذكراي أينما ذهبت

وكيفما إلتفت

لا ..لا مفر

ستحاول قتلي بالآف النساء غيري

ولا ..لن تكون إحداهن كأنا

لن تكون إحداهن كأنا

لن تكون إحداهن كأنا

II

شِتاء

لا يرمم الشتاءُ شيئاً ، بل يزيد طين الذاكرةِ بلَّلاً !

حنينٌ إلى وطن

الساعة الحادية عشرة وجعاً

يتسرب حنين الأيام الماضية

إلى ذاكرتي المحمومة بذكريات الوطن

يصفعني بتاريخها المُبجَّل حد الفخر

يأخذني على بساط الريح لأماكن لم أزرها

إلا على شاشات التلفزة و الأنترنت

لكنها موشومة على جدران قلبي

كاسمي و تاريخ ميلادي و رقم هويتي الفلسطينية

عطر المجد ما زال يعبق بأنفاسي

حيفا ..

رائحة البحر ..

بيارات البرتقال ..

و أنا الفلسطينية التي ولدت على بعد ثورة عن حيفا

كجدول ماءٍ جفت مياهه

كوردةٍ حمراء فقدت عبيرها

كعصفورٍ قطعت أجحته

كقلبٍ خاوٍ لأم مفجوعة بطفلها الوحيد

أقف على أطلال الذكرى

أبحث في الأفق عن صلاح الدين المرتقب

لإعادة مجد فلسطين

أنقب بين ركام البارود والهزائم

وانكسارات غزة .. وجثث الشهداء

عن نصرٍ جديد

عن قدسٍ حرة

و ساحلٍ فلسطينيٍ يلمؤه البحارة

عن رايةٍ تحلق فوق قبة المسجد الأقصى

ع حلمٍ محقق

و أرضٍ واعدةٍ بالخير .. و الأبطال

الذين يسطرون بدمائهم حروفاً من نور

عن جدي و أرضه

عن جدتي

وحكايات المجد القديمة التي تعيد طقوسها من جديد

أقبض على الحلم بكلتا يدي

أزرعه غرسة زيتون في قلبي

أخشى عليه من الضياع

أحفظه كآية الكرسي

لأطلق عنانه

ذات مساء

من ساحات المسجد الأقصى

و ساحل حيفا

هَمسة ..

الثانية بعد مُنتصف كل الأشياء الموجعة
تعانقُ وسادتك
ثم تخلد للنوم
و تتركني فريسةً سهلة
لشياطين الحرف و القلق
مُعلقة بين ،
سماء الحلم
و أرض الواقع .
حيثُ كل الأشياء مُبهمة
و كل الإجابات فارغة
أنا
و طيفك الذي يؤرقني لساعاتٍ متأخرة
نتقلَّب في دوامة الأفكار المُشتعلة
أتركُ جسدي مُلقاً على سرير الأرق

أرحل إليك

أحاصر أحلامك

أهمس في أذنك

"أحبك اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى"

♣ ♣ ♣ ♣

ينقصني الكثير من حضورك

أقضى به ساعات الليل المُتبَّقيَّة

في رصيد الوقت

♣ ♣ ♣ ♣

التاسعة صباحاً

أستقبل النهار برفقة كوبٍ من القهوة

و اسمك بحروفه الذهبية

يمضي الوقتُ بطيئاً كسلحفاةٍ طاعنة

في السن ... و الضجر

صوت الساعة يهذي

تيك ..تاك ..تيك ..تاك

أطلُّ من نافذة يومي إلى شارعِ حُضورك

لكن .. لا فرحٍ قادم

أعود لممارسة طقوس الملل و الإنتظار

آآآه صوتك الخافت

صورتك

تحتل كل أماكن ذاكرتي الشاغرة / الممتلئة بك !

أحاول الانشغال عنك بالنوم

لكنه مثلك اعتذر اليوم عن الحضور

بحججٍ واهية !

♣ ♣ ♣ ♣

همسة :

بعيداً عن زحمة هذا اليوم

و صخب إخوتي الصغار

و محبرتي الممتلئة بك

أنا حقاً أشتاقك !

الخامس عشر من شباط

الخامس عشر من شباط

اليوم الذي حمل على عاتقه

كل الخيبات و الطعنات

ثم ألقى بها فوق قلبي



اليوم الذي قُدِّر له أن يكون

أول أيام المنخفض القطبي الذي

عصف بقلبي قبل أن يمَّس

رحم السماء !



اليوم الذي جمع في جعبته

كل المصادفات القاسية ،

الخانقة حد الوجع و البكاء

كانت مصادفةً أن أمرَّ من

شارع الذكرى

فأجدك واقفا على أبواب ذاكرتي

تحزم أمتعة صمتك

و تمضي ببقايا قلبي

إلى حيث لا أدري

♣ ♣ ♣ ♣

كانت مُصادفةً أن أكتشف اليوم أنني

أحبك أكثر من أي وقتٍ مضى

♣ ♣ ♣ ♣

و المُصادفة الأعظم

من كُل ذلك

أن يَكون المطر

مصدر لقائنا و فراقنا في آن

أن يُحمِّلنا كُل أوجاعهِ

و أنينه

و يدُّس في جيوب قلوبنا

غياباً آخر

أن يجعل من حكايتنا التي لم يُكتب

لها طول العمر

مقالاً هزلياً

في صحف الفراق

أن أحبك و أكرهك

أجدك و أفقدك

أشتاقك و لا أحتاج إليك

تحت سقفِ سماءِ يومٍ واحدٍ

لا أكثر !

♣ ♣ ♣ ♣

سيدي

لَيس الكُره مرادفاً للحب كما يَقولون

أكرهك .. أكره صمتك

برودك

و لا مبالاتك ..

و في أعماقي يتردد هذا الصدى

الذي ينتحب على كبرياء خَنقَتهُ يَداك



لماذا كُتِّب لِهذا النهار أن لا ينتهي

لماذا كان على المساء

أن يكون

بهذا الظلم / الظلمة !

لماذا كان على قلبي

أن يقع ضية جنوني



سيدي

كُنت أفكر قبل شجارنا العنيف بساعاتٍ قليلة

أن أكتب في مُفكرتي

" قد تكون كل الأشياء التي حدثت لنا محظ صدفة ،

إنما لم يكن من المصادفة أنني أحببتك "

لكن ريح الفراق جرت

بما لا تشتهي السفن

إنقلبت المراكب

تمزق الشراع

خاننا البحر

و انطفئ الكون في أعين القلب .



سيدي

كقالب ثلجٍ لوثته آثار أقدام الغرباء

كمدينة إجتاحها الطاعون

كجدارٍ رطب فآجأه الزلزال

كطائرٍ خذلتهُ أجنحته / حنجرته

فاعتزل الغناء ..

كغيمةٍ عقيم .. هجرها المطر

آلمتني قسوتك أكثر مما كنت أتخيل أنها قد تفعل يوماً !

الليلة الثانية بعد الفقد !

لا أجدُ في ذاكرتي

أثناء هذا المساء السرمدي

الذي يغسلهُ المَطر

و يزيده إشتعالاً

أي شيء يستحقُ الكتابة



هذه الأمطار التي تلتصقُ

بزجاج النافذة بخجل

و حباتُ البَّرد التي تقرع النافذة بعنف

لم تتركا في حيز اللا شيء

مُتسعاً لأَي شيءٍ آخر !

♣ ♣ ♣ ♣

لا أنتظر دفئاً

ولا قلباً طيباً يحتوي

نبضي المُتحشرج في أوعيتي الدموية

فكلُ الأماكنِ فارغة

♣ ♣ ♣ ♣

أتشاركُ مع الوحدة

هذا السرير المنفردِ في

زاويةِ الغرفة .

يباغتني النُعاس ،

لكن طبول القلق لا تتوقف

عن عزف لحنها الصاخب .

أُحدِّقُ في جدران الغرفة الموشومة

بِنكهةِ البردِ المُجحف

و ترتدي هذا الطلاء الوردي

و بعض الرسوم

و الذكريات

التي تستمر في الإنهمار لساعاتٍ طويلة

في مساءِ الحنين هذا



السماءُ في الخارجِ غاضبة

صوت الرعد يدَوي

في شوارعِ المدينة الخاليةِ من

ملامح الحياة البشرية !

♣ ♣ ♣ ♣

الليلة الثانية بعد الفقد / فقدك !

لا تبدو سَهلةً أبداً

تتَعرقل أثناء مسيرها

بِذكرياتنا المُلقاةِ على

رصيف **الغِياب** !

صَباح مُختلف ..

بردٌ قارس . .

نحاول قتله بأَكواب القهوة الساخنة ،

وبخارها المُتطاير

يرسم لَوحاتٍ ضبابية ..

الأسِّرَة كما عهدناها دافئة ،

تمنحنا شعوراً أَفضل في مثل الأيام المَطرية . .

مَعينٌ من حنان أُمي الذي لا يَنضب . .

تدعوني للاستيقاظ ..

وبدأ الدراسة المتراكمة ..

تدعو لي بالخير وتمضي إلى شؤونها ..

و أبقى أنا مُعقلةً ما بين أَفكاري الصباحية ..

جُدران ..

لم أعتد منكَ كل هذا الجفاء!

أصابعك التي كانت تتخَلْلَ خصلات شعري ،

باتت خناجر تتربص .. لتغدر بي!

تتغرس في صدري..

تخنقني..

لم ترحمني ذكراك..

لم ترأَف بي..

كل الأشياء بعدك تتآمر عليَّ!

♣ ♣ ♣ ♣

يدوسني غيابك

يخطو بأقدام فيلٍ هرمٍ فوق قلبي

و عكازة الأبجدية عشَّشت فيها الشقوق

حتى تسربت لفسحة الأمل الوحيدة ،

المرصوفة على ناصية عمري

أَفسدتها حتى حولتها لخربة

لا يَسكنها إنسٌ ولا جآن

♣ ♣ ♣ ♣

أتعلم ؟

موت سائق الحافلةِ ذاك الصباح أفزعني ،

ذلك الرجل الطيب

أَضاف رعباً إلى رعبي

إحتجتك وناديتك و ناجيتك

كنت أطمع بحنانك الذي يحتضن خوفي

لكنك لم تُجبني

تردد صدى صوتي في ظلمة الليل

حتى ابتلعته الجدران !

تساؤل .!

إِذا كانت كُل الأَشياء تتكمش في الشِتاء ..

من شدةِ البرد

لماذا يَشُذ الحنين عن هذه القاعدة

ويزداد اتساعاً مع كُل لَيلةٍ بارِدة ..!

نِهاية

يقولون أن الشتاء أوشك على الانتهاء ،

وأنه قد بدأ يحزم أمتعته ،

و قريباً سيمضي ،

ما يُقلقني شخصياً

هل سيأخذ ذكراك معه !

أم أنه سوف ينساها

عند عتبة الباب

تُعكر عليَّ صفو صباحاتي ؟

رَجاء ..

لا تترك قلبي

فريسة لبرد الشتاء ،

كُن منصفاً في غيابك !

بائعة الكبريت..

بائِعَةُ الكِبريت يا سادة ..

ماتت حُزناً

لا بَرداً .!

مَطر

جدران ذاكرتي تنزف ،

عقلي النزق ما عاد يحتمل ،

بنايات في قلبي تنهار ،

سفن تغرق ،

و رصيف لا يزوره أحد ،

لا أعلم

هل هو المطر من يثير فينا

كل هذا الحنين أم أن الحنين هو

من يستدعي المطر !

رَبيعٌ و فرح

جئت تهدهد على قلبي الفرح ،

تسقيني من بحار

كانت يوما ما بعيدة

يموت قلبي شغفاً للوصول إليها

أنت الوحيد

الذي زرع في كفي زهرة و ابتسامة

بينما كان الآخرون يحاول سرقة أناملي

والبحث عن هفواتي

ذات وصال همست لي بتتهيدة عشق

لم تكن أول كلمة اسمعها ..

لكنها كانت مختلفة

هادئة ، دافئة كنجمة

صادقة ك موجة

لم تكن الأكثر وسامة ..

كنت الأكثر قربا حتى في أيام بعدك

حين استيقظت يوما على صوتك ..

غنت طيور قلبي فرح

و ولد الربيع في ذاكرتي أول أطفاله !

III

أحلام على قائمة الإنتظار ..

أحلام على قائمة الإنتظار ..

سأُطرِفُك بأمرٍ يا صديقي ،

أنا لا أزال أَنا

بِنون البِداية أبداً،

وبالجنون أَخُط عَلى ناصية الطريق المُضمحل حكايتي ،

أَلهو بين حُقول ذِكرياتي فيُتعبني الجَريُ ،

...يُرهقني ،

يشاكسني ويُلقي بي

عَلى ذراع الزيزفونة الخَضراء

الواقفة تُعانق أَكُف السَماء ،

أُلقي جُروح الروح إلى ضاد العَربية الفُصحى ،

فتَسندني،

تُعانقني ،

وأشكو لَها هَماً يكاد يَخنقني ،

وأَصرخ في وَجه الأَلم أن ابتعد

فأنا يا صديقي كنت ولا زلت لا أملك الضَمان على عَقلي

النَزِق،

ولا أثق،

أن يَوماً سيأتيني بحُلمٍ مُرتقَبْ

لا تُبالي يا صديقي

فأنا لا أزال كما أنا

على لام الأحلام كالمتسولين أرتَزِقْ

ثَرثرة !

صُداع فريدٌ من نوعه

يقرعِ طبولهُ في رأسي منذ أيام

محاولات النوم تَفشل منذ أُسبوع

بسبب الصَخب الذي يملأُ أروقة المنزل

والذاكرة التي لا تكاد تتركني

حتى تعود بوجعٍ أكبر من الذي يسبقه

كل هذا الضجر حولي

يجعلني أُحاول كسر حاجز الصمت

ما بيني و بيني

أو حَبس سيل الدموع الذي يفيض

كلما قرأت تلك الحروف المُكدسةٍ

في صندوق بريدي

أُحاول إختراع طريقةٍ

تأخذني بعيداً عن هذا الوطن ،

الذي كلما حاولتُ أن أسرق

من حروفه ابتسامةً زرع على شفاهي

ألفَ سببٍ للبُكاء

مُتعبة حد اللا وعي ..

حد المُوت الذي يتربصُ بأبطال

معركة الأمعاء الخاوية

الموت الذي يَجعلني

أقف بائِسةً في احتقارٍ تام

لِكُلِ مَلذات الحياة

حتى أنيّ في الآونةِ الأخيرة ،

ما عُدتُ أشبهني كثيراً

لستُ وحدي ،

كثيرةٌ هي الأشياء التي باتت مُختلفة جداً

عما كانت عليه

بدأً من كُتبي و غرفتي الوردية

و انتهاءاً بهذا الوطن الكبير

حد الضيق و الاختناق



أبصر من خلف النافذة لوحةً للربيع

الذي لم يلبث في حيِّنا

أكثر من المسافةِ الفاصلةِ

بين البرق و الرعد

و طيوراً فَقدت في ازدحام الحياة

كثيراً من بهجتها

و مبانٍ تشكتي بضجر

من حرارة هذا الصيف الذي أتانا على عجل

و أُغنية قديمة تثيرُ في نفسي الشجن

(١)

المَسافاتْ البَعيدَةْ تَزيدُنا قُرباً دونَ أَنْ نَعلَم

الأَحزان المُتعاقِبة تُهدينا فَرحاً مُستَقطعاً يُحلق بِنا فَوق

النُجوم

ضُغوط الحَياة تَزيدنا صَلابة ، قُدرة على التَحمل

أَناقَة فِي مُواجَهة المُستقبل القادم

حُضن دافئ يَزيدناً أَمناً ..استقراراً ، ثِقة

هُطول المَطر ..يَزيدنا نَقاءاً ..صَفاءاً،،طُهراً

صَديق مُقَّرب يَزيدنا ..حَياة ..

فَشكراً لِكل ذلك لأَنه يَزيدا قُرباً مِن الله

شُكراً لَك يا الله

(٢)

بَعضُ الأَشخاصِ في الحُزن أَكثرُ أَناقة ،حتى في خضَّم

الألم يبدون أَجمل!

(٣)

سعيدة ،لأنني لم أحمل يوماً في قلبي حقداً على أَحد،لأنني

كل مساء أُسامح كل من سبب لي ألماً في قلبي، لأنني

أَغفو كل ليلة بضميرٍ مرتاح !

(٤)

يحدث أحيانا أن تقرأ شيئاً يشبهك كثيراً ، حد الألم ، أن

تكون الكلمات بمثابة ذاكرة إضافية تندمج مع ذاكرتك ،

لتُنجِبَ لك الماضي كأنه واقع يمر أمام عينيك من جديد

(٥)

نمارس الفرح بشكل مختصر جداً ،

أما الحزن فمواسمه كاملة لا تقبل القسمة ولا التجزئة !

(٦)

يوم نطقت شفاهك اسمي ،

صار أجمل !

(٧)

أخشى عودتك ،

لأنها تملأ حقائب ذاكرتي بالمزيد من الذكريات الجديدة

التي ما تلبث أن تتحول بعد غيابك لنواقيس صدئة تدق في

دمي ،و خناجر مسمومة تنغرس في رحم أيامي !

(٨)

مِن شَخصٍ لآخر

تَختلف الطموحات،الأحلام،المواهب ،الاهتمامات،والهوايات

وقد تَكون أحلام كُل فَردٍ مِنا هِيَ كُل ما نَملكُ مِن الحَياة،

والحبلُ السُري الوحيد الذي يربطنا بالواقع،

لِذا لا تَحتقر أحلام غيرك ، مهما بدا صغرها في عينيك

ولا تَستهزأ بمواهبهم وهواياتهم ،

فَقد تكون بَعض المواهب والاهتمامات على قَدرِ سخافتها

،صِلة الآخرين الوحيدة بالحياة

والقوت اليَومي الذي يُغذّون عَليهِ أحلامهم وأيامهم ،

فبِدونها يَنطفئ العالم في عيونهم،

وتُسدل الستارة على واقعهم و تطلق شارة النهاية على

حياتهم

(٩)

عندما ترتبط ذكرياتنا بأشياء و تفاصيل نتعامل معها بشكل

يوميٍ مباشر فإن صباحاتنا تغدو مرهقة جداً !

(١٠)

الكلمة التي نذرف عُمرنا و سهر الليالي في انتظارها

،عندما تتأخر كثيراً ..تأتي باردة جداً ، متحنطة ،تثير في

أنفسنا سخرية كبيرة ، نابعة من بحار الألم !

(١١)

غياباتك السابقة علمتني أن لا أثق بلطفك المفاجئ هذا

لست متطلبة ولا جاحدة ، لكني أخشى على قلبي !

(١٢)

حديث الليلة الماضية، قابع على طاولة اللقاء التي تفرش

ذراعيها ما بيني و بينك !

(١٣)

خيباتي استثنائية ، ربما هذه هي ضريبة أن تكون طيبا حد

السذاجة!

(١٤)

الفتاة التي تسهر كثيراً،

تشتكي دوماً من الوحدة و الضجر ،

و تكتب في مفكرتها كل مساء عبارات مبهمة لا يقرأها أحد

تشبهني كثيراً !

(١٥)

مُؤسف أن تَكتشف أَنك لا زلتَ تُفكرُ بهم بالطريقة الغَبية

ذاتها !

(١٦)

تَمُّرُ علينا في الحياة لَحظات عَصيبة ،

تَدُّكنا فيها الأَيامُ دكاً ،

لَحظاتٍ نَزهد فيها بالحياةِ وتفاصيلها ،

لحظاتٍ لا نُريد منها إِلّا أن تَجعلنا من اللهِ أَقرب !

لأَنه وحده قادرٌ على فهم أَوجاعنا الصغيرةُ مقارنةً بعظمته،

وحدهُ قادرٌ على سَكب الطمأنينة ليَجعلنا نَبرأ

(١٧)

كالأطفال

تقرع باب ذاكرتي ثم تهربُ بعيداً !

(١٨)

هذا الصباح ، بداية جديدة لكنها مرهقة

ذاكرة خالية و فرمانات نسيان جديدة الاصدار !

(١٩)

البعد بيننا مسافة رسالة واحدة ،لكن كبريائنا يمنعنا !

(٢٠)

بريئة تلك الابتسامة التي ترتسم على شفاهي عندما تعلن

ولادتها أنت !

(٢١)

الغَائب حَتماً يَعود ولَكِن بعد يَنفَذ رَصيدُ الانتِظار بِداخِلنا

(٢٢)

لأن في قلب كل واحدٍ منا طفلٌ مشاغب صَغير، ينسى

إساءة اليوم الماضي ، نبتسم دوماً للصباحات ، و قطرات

الندى، وعصافير الشروق الجميلة !

نطِّلُ من نافذة الأمل على يومٍ جديد ،

نُلقي التحية على الحياة و الوطن و الكون البديع ،

نكتبُ للصباح المجهول حكاية سعادةٍ و حب ، بريشةٍ

تتبضُ ثقةً بالله !

لأننا شعبٌ لا يملُّ من الأمل نفتح مع دقائق الفجر الأولى

ميثاقاً وردياً بلون أشعة الشَمس الطفولية

(٢٣)

نَحتاجُ يَومياً لِمن يَبتسم لِنا ،و يُخبرنا أَشياء جَميلة عَنا ،و

يُربتُ على كَتِفنا إذا مَشَّط الحُزن دُروبنا

أَصدقائنا المُقربون بلا شَك سيَفعلون ذلك !

(٢٤)

الأَصِدقاء: هم أولئك الذين تَكون أَيامنا مَعهم أَعيادٌ

مُزركَشة بألوان قَوسِ قُزحْ

(٢٥)

هذا الصباح يشبه شيئاً أعرفه ، يشبه ذكرى جميلة مرت

جانبي و لم تجلس عندي !

يشبه عصفوراً ترك على نافذتي ياسمينة و رحل حزين

يشبه تعباً مراً يعلق في حلقي

(٢٦)

الرحيل: ما هو إلَّا شرطٌ جزائيّ على قصةِ حُبٍ فاشلة !

(٢٧)

حَنين للشِتاء ،

للمعاطف السَميكة،

للنوافذ الباردة،

للقهوة الساخنة،

للطرقات المُبللة،

للوقوف تحت المَطر و الدعاء

(٢٨)

الجُدران

تَفهمنا أَحياناً أَكثر من أَيِّ بَشر؛ يَكفي أنها لا تُدير لَنا

ظَهرها !

(٢٩)

دعنا نتقاسم الحُزن هذا المساء بشَكلٍ عادل ،خُذ نَصيبكَ

الشرعي من ميراث الحزن ..أَليس للذكرِ مِثل حظ الأُنثيَّين!

(٣٠)

الَّذي يَذهب دون كَلمة وداع لا يَعود أبداً ، من يَعزّ عليه فراقنا

يأخذ حفنة من ملامحنا قبل أن يذهب ، حفنة يَقتات عليها لحينِ

عَودته !

(٣١)

هل جربت يوماً طعم الوقت المُر الذي يَضيع في الانتظار

، هل سَكب أحدهم حفنة ملحٍ في جرحك كما فعلت أنت ؟

(٣٢)

عندما تضيء شاشتي برسالة منك يهطل على قلبي الفرح،

رسالة واحدة كفيلة بأن تنقش على كفي حناء السرور و

ألوان قوس قزح

(٣٣)

هناك صباحات تستحق أن نفتح نوافذنا و قلوبنا لاستقبالها

(٣٤)

أغلق الباب جيداً ، ولا تسألني عن الوقت و لا من أين

جِئت ،فقط خبئني في قلبكَ فخلف البابِ غيابٌ شرسٌ

يطاردني !

(٣٥)

كلما أغلقت للحزن باباً . . حمل الآخرون أبواباً جديدة و

وضعوها في طريقي .. ألا يحق لي أن أفرح قليلاً !

(٣٦)

لا شيءَ أَجمل مِن الارتِواء بِعطر الفَرح بَعد سنين الجَفاف

(٣٧)

كُنت طِفلة مُشاكسة ، أختار معاطفي دون جُيوب لأدس

يَديّ الباردتين في جَيب مِعطفك !

(٣٨)

بَريد السَماء لا يَنغلق في وَجه دَعواتنا أَبداً فَقط قولوا " يا

الله " وسَوف تُصبحُ الأَحلام حَقيقة

(٣٩)

يالحظ أجهزتنا الإلكترونية ، إذا ما تعبت تتوقف عن العمل

بكامل إرادتها و تجبرنا على تنظيف ذاكرتها من كل ما

يعلق بها ، و تبقى ذاكرتنا نحن مثقلة بالتفاصيل التي لا

تنتهي ، بالحكايات التي تأبى أن ترحل !

(٤٠)

هُناك أحاسيس تَصعب مشاركتها مع الآخرين

نحتفظ بطُهرها داخل القلب خوفاً عليها،

من التَلوث الذي قد يعلقُ بِها فَور خروجها

هُناك حُبٌ ..يُولد ويموت .. دون أن يُدركه أَحد

هُناك ذكرى تنخر الجسد بهدوءٍ قاتل

هُناك لِقاءٌ يفوق كل حدود الدهشة ..

و فراق يَقتُلُ قَبل أن يُقتَل

هناك صدَّفٌ تُحطمنا أكثر مما تُسعدنا

(٤١)

إن كُنت تُحبني كُنْ قَريباً بما يَكفيني لأتكئ على كَتِفكَ و

أبكي

(٤٢)

السابع من إبريل ، لا أثر لك يذكر !

إذن هذا الفراق لم يكن كذبة !

(٤٣)

بعد أن تخطيت مرحلة الفراق والبكاء والوجع و الحنين

والانتظار و الشوق ، هل يمكنني اليوم أن أدخل بقدمي

اليمنى إلى حدائق النسيان ؟

(٤٤)

الأيام الماطرة التي يزورني فيها صوتك و تَتشابكُ فيها يدي

بـ يدك تَطبع على قلبي بَصمة سعادة، يصير فيها صَوتي

المالح عذباً و أصابعي الباردة نجوماً دافئة و أكثر من هذا

يصير قلبي معطفاً كبيراً يتسع لكل الطرقات المُبللة !

(٤٥)

لا يعنينا أَحياناً أن يَعرف بَعض الأَشخاص حجم الاحترام

الذي نحمله لَهم ،يَكفينا من السَعادةِ أن نُهديهم دَعوةً

صادقة بِظهر الغَيب و أُمنياتٍ بالخَير ، دون أن ننتظر

مِنهم أَي مُقابل

(٤٦)

ندعي اللا مبالاة كثيراً

نمل الانتظار ..يرهقنا التفكير

نتناسى

لكننا أبدا لا ننسى

(٤٧)

لا زال يدَّعي الغياب، و لا زلتُ أَتجَملُ بالنسيان أكثر

وأكثر

(٤٨)

أَكره أن أبقى مُعَلَّقةً هكذا على الطاولةِ ذاتها، أَحتضنُ بين

يديَّ فنجان قهوةٍ بارد، و أُجُالسُ حُزناً يرتدي بدلةً سوداءَ

بربطة عُنقٍ خمرية

(٤٩)

قل للحنين يا سيدي إذا ما طرق بابك ذات ليلة تشبعت

بعبق الذكريات ، أن الفراق كان ذنبك و خطيئتك و أن اليد

التي دبرته

كانت يدك لا يدي

(٥٠)

لماذا تتشبث بي، إن كنت تبحث عنها

اتركني ..لست طوق نجاة

(٥١)

يدور الزمن بشكل مذهل سيأتي ذلك اليوم الذي سأمر فيه

بجانب

كأنك لم تكن أغلى شيءٍ أحببته و لم أمتلكه

(٥٢)

لا تَلمني إِن إبتعدت عنكَ مِراراً فيما أنت تَقترب، أريدك

بالحلال.. بالحلال فقط !

(٥٣)

الفتاةُ التي بَكَّت على كتِفِ صديقَتِها آلاف المَرات بِسببكْ

،كانت تُحبك أقول " كانت"

(٥٤)

بوسعي أن أتغاضى عن كل ما حدث، أن أتجاهل هذا

الحزن الذي يستلقي بجانبي على السرير، أن أنفض عن

وجهي ملامح الانكسار

و التعب، أن أرتدي ابتسامتي الباهتة المستهلكة، أستطيع

أن أفعل أي شيء

إلا نسيانك

(٥٥)

الصديق الحقيقي هو ليس من يصونك وأنتما متفقان إنما

هو من يظل على العهد والوعد عند الخصام

(٥٦)

و يَبقى شيءٌ من عَبق الماضي عالقٌ بنا رُغم الزَمن، شيٌ

تَعجز يَد النسيان أن تطاله

(٥٧)

وعَرفتُ أَخيرَاً أنْ الحُب على أرضِ الواقعِ يَنتَهي ، و أنَّ النِسيانَ أَمرٌ عاديٌ يُمكن أن يَحدُثْ

(٥٨)

كل أمنية تموت في قلوبنا قبل أن ترى النور ، تترك خلفها

آلاف الأمنيات الجديدة التي تنبض ثقة بالله

(٥٩)

مُتعَبين نَحن ، حَتى أَخمص الرُوح، مُرهَقين وقُلوبنا تَقطر

حُزناً ،

لكن كُل هَذا لا يَمنَعنا مِن مُجامَلة الصَباح بابتسامة،

ودعوته لِكوب قَهوة بِنكهَة الأَمل أن القادِم أَفضل

(٦٠)

وَحيدة كإبهام، كَـ كَوكبٍ مَهجور، كَمصباح طَريق يَجلس

على قارعة الطريق يُفني نَفسه لِيضيء طَريق الغُرباء ،

إنما لا يَكترث لِوجوده أحد !

(٦١)

حتى لو أخذتك الأيام بعيداً، و كان ما بيني و بينك فراق

بحجم مجرة، ستبقى حاضراً في قلبي و ذاكرتي

(٦٢)

أَكرَهُ العِيدَ الذي لا يَأَتيني بِك

والفَرحة التي يَنقصها وجودُك

والاحتِفالات التِي تَفتَقِدُ وجهك

أَحتاج صَوتك لِيبدأَ عيدي

(٦٣)

انتَظِرُ مِنكَ سُؤالاً واحداً فَقط ، لانَفجرَ بَوحاً ، حُزناً ، و

بُكاءً

(٦٤)

هَذا القَلبُ الذي يَقفِ عكازاً ، لأحزان الآخرين ،مُتعبٌ جداً

.. و ما من أحدٍ يكترث بِه

(٦٥)

بَعض الأَشخاص ، ولِشدة رَوعتهم تَجد أن كل ما فيهم

يُذهلك

و يُربِّتُ على كَتفِك .. حَتى كَلماتُهم التي يَهمسون لَنا بِهم

.. دافئِة كَنبضِ قلوبهم

(٦٦)

في مثل هذا الوقت من العام الماضي كنت أتوسد سجادة

الصلاة و أدعو لك و اليوم أدعو الله أن يديم علي نعمة

الكتابة فعكاز الأبجدية خير من وقف معي في غيابك

(٦٧)

دقائقُ قليلة وستبدأ عامكَ الجديد

أعلم جيداً أننا لن نَكون مَعاً

و أنك ستَبدأ عامكَ هذا مع أُخرى لا تُشبهني

ليست بِعفويتي وجنوني

لا تَحمل في وريدها حُبك

ولا بين أوراقها طِفلك

ولا في ذاكرتها طيفك

لذا

يا سيدي الذي أهداني جراحاً بحجم الحب الذي قدمته له

أتمنى لكَ عاماً سعيداً

كُنْ بخير

(٦٨)

لقاؤنا الفوضوي ذاك بعثر فيَّ أشياء كثيرة، أكبر من أن

يرتبها الزمن

(٦٩)

وَجهك غائِبٌ كالهُدوء، كالمَساء، كالسَفرِ على عَجل

(٧٠)

كم مَرة عليَّ أَن أَكسر الكوب وأعبث بالزجاج المكسور
وأخرج في البرد بِملابس صَيفية وأَتحدثُ مع الغُرباء
وأُصافح قطاع الطرق لتخاف عليَّ و تأتي !

فِي النِهايـة :

هَل عُدنا دون قَصدٍ منا ،

لمحطةِ الانتظار

من جديد !